طرق اكتساب الأخلاق

العبادات الأربعة أنموذجاً

إعداد الدكتور

أحمد بن منصور عسيري

أستاذ الثقافة الإسلامية المساعد

جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

طرق اكتساب الأخلاق "العبادات الأربعة أنموذجاً"

أحمد منصور مفرح آل طالع عسيري.

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ahmad12500@hotmail. com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مفهوم حسن الخلق وبيان أدلة حسن الخلق من الكتاب والسنة، وإبراز دلالة العبادات على الأخلاق، والتعرف على طرق اكتساب الأخلاق من خلال الصلاة والزكاة والصيام والحج. واستخدم الباحث فيه المنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي التحليلي.

وخلص الباحث إلى عدة نتائج أهمها :

أداء الصلاة بشروطها وأركانها والمداومة عليها في أوقاتها وجماعاتها وإخلاصها، ينعكس قطعًا على مؤديها في مجمل أخلاقه وسلوكه وحياته، إذ هي وسيلة عظمى لاكتساب الأخلاق والفضائل بمجملها.

أن المعاني التي تدور عليها الزكاة تبين علاقتها الوثيقة باكتساب الأخلاق وتهذيبها؛ فهي تطهيرٌ للنفس من الرذائل والقبائح وغرس للفضائل والمحامد؛ لذا شرع الله الصيام؛ مِنْ أجل تزكية النفس وتهذيبها، واكتساب مكارم الأخلاق وامتثالها عمليًا وسلوكيا.

أن الحج مدرسة متكاملة للأخلاق وميدان مهم في تقويم النفس وتزكيتها وتربيتها على معالي الأخلاق، والبعد عن سيئها وقبيحها ورذيلها وما لا يليق منها.

ومن التوصيات: أوصى الباحث الباحثين من أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا في التخصصات الشرعية والمربين والدعاة والخطباء، بتوجيه اهتمامهم البحثي وخطابهم الإصلاحي والتربوي والدعوي باستخلاص الأخلاق من العبادات سواءً المرتبطة بالشعائر أم المرتبطة بالمشاعر.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق – العبادات – الصلاة – الزكاة – الصيام – الحج.

Methods of Acquiring Manners "The Four Acts of Worship as a Model"

By: Ahmed Mansour Mufareh Al- Talea Asiri
Department of Islamic Studies
College of Sharia and Osoul Al- Deen
King Khalid University، Abha
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research aims at highlighting the concept of good manners and tracing its evidence throughout the Holy Qur'an and Sunnah. It also discusses the significance and impact of worship on manners as well as identifying methods of acquiring manners through prayers، paying zakat، fasting and performing pilgrimage. The researcher has utilized the deductive and analytical inductive approaches. By the end of the research، the researcher has drawn attention to the most outstanding findings. For example، performing prayers in their prescribed times، in congregation and observing their requisites sincerely، would surely be reflected upon the performers regarding their manners، their behavior and their lives in general. Therefore، prayers are taken as a means for acquiring both manners and virtues. Likewise، the underlying meaning of zakat shows its close relationship with the acquisition of manners since it purifies the self from vices، villainous deeds and at the same time it instills commendable acts and virtues. On parallel lines، Allah Has prescribed fasting for the sake of curbing self-righteousness، refining the self، acquiring good manners and turning the self into a good example; practically and behaviorally. Similarly، Pilgrimage (Hajj) is an integrated school of good manners and an important field of self- improvement، self-reformation، upbringing in gracious manners and leaving behind bad، indecent، vicious and inappropriate manners. The research has also recommended researchers، professors and students of post-graduate studies who work on jurisprudential majors، education as well as preachers and mosque leaders to draw manners- throughout academic research، remedial and educational discourses- from acts of worship whether they are related to rituals or rites.

Keywords: manners، acts of worship، prayers، zakat (alms giving)، fasting، pilgrimage.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله فرقانًا، وبين فيه حدوده وأحكامه تبيانًا، وأمر فيه بالتحاكم إليه وجعله للناس إمامًا وبرهانًا، هو الحجة الدامغة، والحكمة البالغة، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به أُجر، ومَنْ دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، جدّد الله تعالى به دعوة التوحيد، وأحيا به سنة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتم به مكارم الأخلاق، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من أعظم ما يميز الإسلام عن غيره من الأديان شموليته؛ فهو شامل للعقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق الفاضلة، فلم يترك خُلقًا فاضلًا، أو خصلة حميدة إلا رغّب فيها أيما ترغيب، ولم يترك خصلة سيئة، ولا خلقًا ذميمًا، إلا حذر منه.

والأخلاق في الإسلام هي أوسع وأشمل مما جاءت به الأديان والفلسفات والنظريات الوضعية؛ لأن الأخلاق الإسلامية "تعني التمسك بالخير، والبعد عن الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والالتزام بكل ما هو فضيلة، والابتعاد عن كل ما هو رزيلة؛ لتحقيق الهدف السامي وهو عبادة الله سبحانه وتعالى"(١).

وبذلك فإنه يدخل في إطارها جميع العلاقات الإنسانية، بل وحتى علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الأخرى، والسلوك الأخلاقي في نظر الإسلام هو كل سلوك خير يقوم به الإنسان بإرادة الخير لنفسه ولغيره، والإنسان الأخلاقي هو الإنسان الخير في حياته الظاهرة والباطنة لنفسه، ولغيره على حد سواء، كما أن المبادئ الأخلاقية الإسلامية تشمل سلوك الإنسان في حياته الخاصة، وحياته مع غيره وفي مختلف المجالات الاجتماعية، والعلمية، والسياسية، والاقتصادية.

ولذلك فُسّر نجاح المسلمين الأوائل في الدعوة الإسلامية، وبناء مجتمع مترابط قوي الصلات، مؤمن بربه واثق بنفسه، تمسكهم بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وما ضاعت الأمم اليوم إلا بسبب تخليها عن الأخلاق الفاضلة في تعامل أفرادها سواء فيما بينهم، أم فيما بين غيرهم من الأمم والشعوب، وتمسكهم بالعادات والتقاليد

(١) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د/ عبد الحميد الصيد الزناتي، (صـ٧٨)، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

والأخلاق الغربية.

والأخلاق الإسلامية الفاضلة ملازمة لقوة الإيمان فكلاهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، ومن ثم يجب المبادرة بتطبيق هذه الأخلاق في الواقع المعاصر، حتى تكون الأمه الإسلامية قدوة للأمم(١).

وسوف يكون الحديث في هذا البحث عن طرق اكتساب الأخلاق من خلال العبادات الأربعة في الإسلام وهي: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في عدة نقاط منها:

أولًا: تنبثق أهمية الدراسة من أهمية اكتساب الأخلاق نفسها كمحرك للسلوك وموجه للفكر.

ثانيًا: حاجة البشرية الماسة لمعرفة الأسلوب الأمثل، والطريق الأقوم لاكتساب الأخلاق من منبعها؛ خاصة إذا كانت من طريق الوحي الإلهي والاستفادة منها.

ثالثًا: الحاجة الماسة لضبط الأخلاق وتهذيبها، ولن نجد أفضل ولا أكمل من المنهج الإسلامي بعباداته الأربعة طريقًا لذلك.

رابعًا: أهمية العبادات الأربعة في الإسلام وهي: الصلاة والزكاة والصيام والحج، ومعرفة كيفية اكتساب الأخلاق منها.

خامسًا: الحاجة الملحة في كل عصر وهذا العصر على وجه الخصوص، إلى الدعوة إلى الفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق.

أسباب اختيار الموضوع

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:

أولاً: إرادة الله ﷻ وتوفيقه، فهو الذي سبب الأسباب وهيأها لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه.

ثانيًا: رغبتي في إبراز البعد الأخلاقي في العبادات، والذي يغيب عن كثير من المسلمين اليوم.

ثالثًا: ما أراه من ضعف في الاهتمام وقلة في الكتابة حول طرق اكتساب الأخلاق من خلال العبادات الأربعة؛ دفعني إلى اختيار هذا الموضوع.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

الأصل في العبادات الأربع (الصلاة والزكاة والصيام والحج) أن لها دورٌ فاعلٌ في تعزيز الأخلاق وهذا من

(١) الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة، محمد جميل بن علي الخياط، (ص٧٣، ٧٤) جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

جوانب الحكمة في تشريعها، ومع حرص المسلمين الواسع بمختلف أقطارهم وأجناسهم وألسنتهم بإداء العبادات الأربع بانتظام مع اهتمام حكومي رسمي بتيسير سبلها وخطاب دعوي وتوجيهي يحث عليها ويبين أركانها وشروطها وضوابطها وآدابها؛ إلا أن الملاحظ والمأخذ السلبي الذي يحتسبه كثيرون يتمثل في ضعف الأثر الأخلاقي المترتب على أداء المسلمين لهذه العبادات، وهذا يستدعي التوقف عند طرق اكتساب الأخلاق من خلال هذه العبادات الأربع.

وتتمحور مشكلة هذا البحث حول هذا التساؤل الرئيس: ما طرق اكتساب الأخلاق من العبادات الأربع؟

وتتفرع عن هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية كما يأتي:

١- ما مفهوم حسن الخلق؟

٢- ما دليل حسن الخلق من الكتاب والسنة؟

٣- ما مفهوم شمولية الأخلاق؟

٤- ما طرق اكتساب الأخلاق من خلال عبادة الصلاة؟

٥- ما طرق اكتساب الأخلاق من خلال عبادة الزكاة؟

٦- ما طرق اكتساب الأخلاق من خلال عبادة الصيام؟

٧- ما طرق اكتساب الأخلاق من خلال عبادة الحج؟

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

١- إبراز مفهوم حسن الخلق وبيان أدلة حسن الخلق من الكتاب والسنة.

٢- إبراز دلالة العبادات على الأخلاق.

٣- التعرف على طرق اكتساب الأخلاق من خلال الصلاة.

٤- التعرف على طرق اكتساب الأخلاق من خلال الزكاة.

٥- التعرف على طرق اكتساب الأخلاق من خلال الصيام.

٦- التعرف على طرق اكتساب الأخلاق من خلال الحج.

منهج البحث:

قمت بعون الله ﷻ وتوفيقه بهذه الدراسة معتمدًا على المناهج العلمية التي تخدم البحث في كافة جوانبه، وهي:

المنهج الاستنباطي[١]، فقد استخدمت هذا المنهج في ثنايا البحث؛ حيث قمت بقراءة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة وفهمها، لتحديد العبر والدروس المستنبطة من الأدلة واستخراجها، ثم المنهج الاستقرائي التحليلي[٢]، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي اقتضاها البحث.

وأما طريقتي في البحث فهي كالآتي:

أ ـ عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينًا بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

ب ـ الرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ لجمعِ مادةِ الرسالة وتوثيقِهَا، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى ينابيعِهِ الصافيةِ.

ج ـ التزمت الأمانة العلمية في البحث كله، فنسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء، ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهارس المكتبات العلمية والرسمية لم يقف الباحث على بحث علمي مستقل تطرق من خلاله إلى موضوع طرق اكتساب الأخلاق العبادات الأربعة أنموذجًا، إلا ما كان من كتابات قصيرة متفرقة منثورة على الشبكة العنكبوتية أو كتب ودراسات تتعلق بالعبادات على حدة أو بالأخلاق على حدة مع إشارات طفيفة للموضوع لا تغني بمجملها عن هذا البحث.

---

(١) هو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصي جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله، (صـ٤٢)، جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة السادسة/ ١٤١٠، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

(٢) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، (صـ٩٦)، منشورات الفرقان، الطبعة الأولي الدار البيضاء، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م. بتصرف يسير، والاستقراء في اللغة تعني من قرأ الأمر أي تتبعه، ونظر في حاله، أو من قرأت الشيء: بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض، والمراد به هنا: تتبع الموضوع واستقرائه في مظانه وجمع المعلومات المتعلقة به، لسان العرب:(١٥/ ١٧٥). بتصرف يسير.

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وتساؤلاته، وأهداف البحث والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف الأخلاق والعبادة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: شمولية الأخلاق ودلالة العبادة عليها.

المبحث الثاني: طرق اكتساب الأخلاق بالصلاة.

المبحث الثالث: طرق اكتساب الأخلاق بالزكاة.

المبحث الرابع: طرق اكتساب الأخلاق بالصيام.

المبحث الخامس: طرق اكتساب الأخلاق بالحج.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج وأبرز التوصيات.

الفهارس وتتضمن فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

أولاً: تعريف الأخلاق في اللغة، والاصطلاح.

تعريف الأخلاق في اللغة:

الأخلاق جمع خُلُق، وقد عرف أهل اللغة الخلق بعدة تعاريف منها ما يلي:

الخُلُق، بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجيّة"[١]، وهي السجية؛" لأن صاحبه قد قُدر عليه، وفلان خليق بكذا، وأخلق به، أي ما أخلقه أي هو ممن يُقدر فيه ذلك، والخَلاق النصيب لأنه قد قُدر لكل أحد نصيبه"[٢]، والخلق" الطبيعة والخليقة والسليقة، وهم بمعنى واحد"[٣].

الخَلاقُ: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه[٤].

ويمكن تلخيص ثلاثة معان واضحة وبينة للأخلاق في اللغة:

١- الخُلُق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة.

٢- تدل الأخلاق أيضًا على الصفات التي اكتسبت وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته.

٣- أن للأخلاق جانبين: جانبًا نفسيًا باطنيًا، وجانبًا سلوكيًا ظاهريًا.

الأخلاق في الاصطلاح:

عرفت الأخلاق في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها:

١- الأخلاق هي: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة سميّت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميّت الهيئة: خلقًا سيئًا، وإنما قلنا: هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو رويّة، لا يقال: خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخصٍ خلقه السخاء، ولا يبذل، إما

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، (٤/ ١٩٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، (٢/ ٢١٤).

(٣) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، (٧/ ٢٥)

(٤) معجم الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م، (٤/ ١٤٧١).

لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء[١].

٢- الأخلاق هي "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وعلى ضوئها يحسن الفعل أو يقبح"[٢].

٣- الأخلاق هي: "غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتُقهر بالاضطرار"[٣].

من خلال ما سبق: عِلمنا أنّ الأخلاق هي أعراض تصدر من المرء تظهر من خلالها القول والفعل الحسن أو بعكسه وهو القبيح.

تعريف حسن الخلق:

ومعنى حسن الخلق: "سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله، وقد يكون فيما بين الناس"[٤]. وحُسن الخلق "أن يكون سهل العريكة لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة[٥].

ثانيًا: تعريف العبادة في اللغة، والاصطلاح.

العبادة في اللغة: هي الانقياد والخضوع والطاعة[٦].

وفي الاصطلاح: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة [٧].

وهذا التعريف هو للأعمال التي يطلق عليها عبادة.

وتعريفها من جهة صدورها من العبد المسلم هي: "الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض"[٨].

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، (صـ ١٠١).

(٢) مكارم الأخلاق ـ محمد الخرائطي، دار الآفاق العربية، ط١ـ ١٤١٩هـ، (صـ١٢)

(٣) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م، (صـ ٥).

(٤) مختصر شعب الإيمان، عمر بن عبدالرحمن القزويني أبو المعالي، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٥هـ، (١١٦، ١١٧).

(٥) غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، لمحمد السفاريني الحنبلي، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، (١/ ٣٥٣، ٣٥٤).

(٦) ينظر: لسان العرب لابن منظور –(٣ / ٢٧٣)، مرجع سابق.

(٧) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م (صـ٢٣).

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، (صـ٤٩٨).

فهي بالنسبة للأعمال شاملة لكل شيء، تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه سواء كان من الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

وأما بالنسبة لصدورها من جهة العبد المسلم؛ فتصدر منه في ذل وخضوع لربه جلّ وعلا؛ لأنها لها ثمرات في اكتساب الأخلاق على حياة المسلم.

المبحث الأول

شمولية الأخلاق ودلالة العبادة عليها

أولاً: شمولية الأخلاق في الكتاب والسنة وأقوال أهل السنة.

مَنْ تأمل في القرآن والسنة وأقوال أهل السنة رأى شمولية الأخلاق مع المسلم وغير المسلم، وذلك من خلال المعاملات الواقعة بينهم، وأنّ الإسلام لا يمنع منها دون خضوع ولا استكانة ولا خذلان، قال تعالى في التعامل مع الكفار: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(١)

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾، يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهد، وينقض عقده، ويغدر بك، وذلك هو الخيانة والغدر ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ﴾، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾، الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه، قبل إعلامه إياه أنه له حرب، وأنه قد فاسخه العقد).(٢)

فأبانت الآية بأنّ من ظهرت لك خيانة ممن كان بينك وبينه عهد فأخبره بفسخ العقد، حتى يكون على استعداد بأنك ستحاربه.

فأيّ أخلاق هذه؛ إنها شمولية الإسلام من جميع جوانبه؛ والتي لا توجد في دِين مِن أديان أهل الأرض.

وانظر أيضًا لهذه الأخلاق؛ أخلاق الإسلام؛ وذلك بالنظر إلى صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش، وما حصل فيه بنود الشروط، حيث كان من شروطه، (أن من جاء النبي صلى الله عليه وسلم من قريش يرده إلى قريش، وفي أثناء كتابة المعاهدة، دخل أبو جندل بن سهيل يمشي شيئًا بطيئًا في قيوده قادمًا من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا؟ ألا ترون ما قد لقيت؟

وكان قد عذب في مكة عذابًا شديدًا، فقال الرسول ﷺ: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإنا لا نغدر وإن الله جاعل لك فرجًا ومخرجًا).(٣)

---

(١) الأنفال الآية:(٥٨).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، (المتوفى: ٣١٠هـ) دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (١٤/ ٢٥).

(٣) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) –، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨، هـ، ١٩٨٨ م، (٦/ ١٧٠)

فالالتزام بالأخلاق مطلوب في جميع الوسائل والغايات فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة، ولهذا لا مكانة في الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث القائل: الغاية تبرر الوسيلة، مراعاة للمعاني الأخلاقية في القرآن الكريم.

إن الإسلام لم يضع المبادئ لشمولية الأخلاق ليتركها سطورًا مسطورة في الكتب يرددها الناس دون تطبيق، فلا بد لشمولية الأخلاق من التطبيق لتكون نموذجًا حيًا يملأ الأبصار والأسماع، من ذلك أن الدين الحنيف قد ندد بالذين يشعرون أن لهم الشرف أكثر مما لغيرهم، وأنه لا حق لمن دونهم في المنزلة الاجتماعية بمجالستهم والتحدث معهم والاختلاط بهم والأكل معهم.(١)

بل الإسلام دعا إلى الوسطية والاعتدال في كل شيء، وهذا من أعظم محاسن الإسلام، فتوسط الإسلام بين طرفي التبذير في كل شيء والتقتير، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٢)، وقال في التوسط في الأكل والشرب:﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾(٣).

ذكر الغزالي- رحمه الله - أن التوسط هو خير الأمور، وأن الشرع الشريف قد جاء بالمبالغة في منع التطرف فقال: " اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط، إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومئ إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات، ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعالم يدرك أن المقصود الوسط؛ لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع، فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثًا والشرع مانعًا فيتقاومان، ويحصل الاعتدال فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية، فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضًا ما يدل على إساءته، كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه"(٤).

وفي ذلك يقول ابن القيم ﷺ" والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة. وعلى خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس، وكل خلق محمود

(١) مكارم الأخلاق، (صـ ٨١)، مرجع سابق.

(٢) الفرقان الآية:(٦٧).

(٣) الأعراف الآية:(٣١).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، (٣/ ٩٦)، مرجع سابق.

مكتنف بخلقين ذميمين. وهو وسط بينهما. وطرفاه خلقان ذميمان، كالجود: الذي يكتنفه خلقا البخل والتبذير، والتواضع: الذي يكتنفه خلقا الذل والمهانة، والكبر والعلو، فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقين الذميمين ولا بد"[١].

ولذلك فإن الإسلام قد شجع، ووصى بالتوازن في كل شيء فهو لا يدعو الناس لممارسة الفضيلة فحسب، وإنما يدعوهم أيضا ليقيموا الفضيلة، ويمحوا الرذيلة، ويدعوهم أيضا إلى الدعوة إلى الخير، ومنع الشر، إنه يريد لحكم الضمير أن يسود وقود، ويوجب على المسلمين، أن لا يجعلوا دور الفضيلة ثانويا لايُهتم به، ودور الشر أوليًا مقدمًا على كل أمر في حياتهم، والغاية الوحيدة التي تتأسس هذه الأمة من أجل بلوغها هي تحقيق الخيرات، وتعزيزها، ودفع الشرور وطمسها.

"ولقد دلت التجربة الإنسانية والأحداث التاريخية على أن تقدم الأمم والشعوب وارتقاء القوى المعنوية لها ملازم لارتقاء الأخلاق الفاضلة، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعب ملازم لانهيار أخلاقها وذلك؛ لأن الأخلاق الفاضلة في أخلاق الأمم والشعوب تمثل المعاقد الثابتة التي تعقد بها روابط المجتمع، ومتى انعدمت هذه المعاقد أو انكسرت في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكانًا، ومتى فقدت الروابط الاجتماعية صارت الملايين في الأمة المنحلة عن بعضها مزودة بقوة الأفراد فقط لا بقوة الجماعة، بل ربما كانت القوى المبعثرة فيها بأسًا فيما بينها مضافًا إلى قوة عدوها[٢].

ولذلك فقد "جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها. سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال، كسنته تعالى في الخلق والإيجاد، وتقدير الأرزاق، وتحديد الآجال"[٣]، وتعتبر الأخلاق "صورة المجتمع؛ لأنها الضابط والمعيار والموقف الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، أو القواعد الأساسية الممنوحة من الله للإنسان لتنظيم حياته، وهي تنتظم فيما يسمى بالبناء الخلقي أو النظام الخلقي"[٤].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م (٢/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، (١/ ٢٩)، دار القلم، ٢٠٠٦م، بدون

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، (١٠/ ٣٨).

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ عدد من المختصين بإشراف الشيخ، صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، (١/ ٥١).

من أجل ذلك فقد جاء الإسلام حاثًا أتباعه على التحلي والاتصاف بمكارم الأخلاق، والبعد عن الرذيلة، فأعطاهم قدرًا كبيرًا من الأساليب والطرق الوقائية ليطهر نفوسهم من نزاعات الشر، والأخلاق، ومن المعلوم أن الإسلام شمل بأخلاقه العظيمة جميع تصرفات الإنسان وسلوكياته القولية والفعلية، فنظم علاقة الفرد بربه جلّ وعلا، وعلاقته مع الآخرين، وعلاقته مع نفسه، فهذه الدائرة تتسع لتشمل كل ما حول الإنسان، حتى تعم الإنسانية جمعاء، بل إنها تشمل الأحياء غير العاقلة، كالحيوان، والنبات.

إن التحلي بالصفات والفضائل الطيبة وخاصة مكارم الأخلاق، وتزكية النفوس، هدف رئيس، وغاية معتبرة في دعوة الأنبياء والرسل – عليهم السلام –، وتشغل حيزًا كبيرًا في ذلك، ولقد بين النبي ﷺ هذا الغرض النبيل، فعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(١)، ولقد حقق النبي الله ﷺ هذا الهدف عيانًا على أرض الواقع، حيث ربّى صحابته الكرام على مكارم الأخلاق، وأفضلها، وحثهم على التمسك بها، فلم يترك فضيلة من الفضائل الحسنة إلا ودعا إليها ورتب عليها الأجور العظيمة، ونهاهم عن قبيحها ورتب على فاعلها الآثام، ولم يترك رذيلة من الرذائل إلا ونبههم للابتعاد عنها وتركها، وكان هذا الإعداد لا يستقيم حاله، إلا إذا أُسس على بناءٍ أخلاقيٍ متينٍ، وهذا يؤكد على الحاجة الملحة – في كل عصر؛ وهذا العصر على وجه الخصوص – إلى الدعوة إلى الفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق، فهي مهمة أساسية نبيلة من مهمات القائمين على التربية والدعوة، وبناءً على ذلك كله: فإنه يجب على المسلم التحلي والاتصاف بمحاسن الأخلاق، والبعد عن مساوئها وسيئها؛ لأن ذلك من مقاصد بعثة الرسل – عليهم الصلاة السلام – لهداية البشرية إلى صراط الله المستقيم، فتتمكن وتترسّخ الأخلاق الحميدة الحسنة من سويداء قلوبهم، حتى تصير هذه الأخلاق جزءًا لا يتجزأ أبدًا من سلوكهم، ثم يُنقي نفوسهم من الأخلاق السيئة والرذيلة، لأن سلامة ونقاء المجتمعات، وقوة بنيانها وعلو شأنها مرهون بتمسكها الدائم بفضائل الأخلاق، والابتعاد والنفور عن رذائلها، فإن لم يفعل ذلك؛ فقد ساد الانحراف والانحلال والانحطاط بين أفرادها لا ينجو في الغالب منهم إلا القليل.

لذا؛ على كل إدارة من الإدارات الداخلية والخارجية أخلاقًا عظيمة.

فالفكر والاعتقاد والقلب والنفس هذه أخلاق لابد للإنسان المؤمن بالله واليوم الآخرة التقيد بها والعمل من أجلها؛ حتى يُرضي ربه سبحانه وتعالى.

وفي أهمية حُسن الخُلق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

(١) رواه الإمام البيهقي في شعب الإيمان، باب في حسن الخلق، (١٠/ ٣٥٢)، حديث رقم (٧٦٠٩)، والحاكم في المستدرك، كتاب آيات رسول الله ﷺ، التي هي دلائل النبوة، باب بدون ترجمة، (٢/ ٦٧٠)، رقم ٤٢٢١)، وقال: "هذا حديث صحيح.

(٢) سورة القلم: الآية: (٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1].

وبيّن النبي ﷺ مكانة الأخلاق في الإسلام، وذلك بدعاء ربه أنْ يُحسن أخلاقه، فقال: (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت)[2]، وأوضح للناس أنّ خيار المسلمين مَنْ حسُنتْ أخلاقهم، فقال: (إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا)[3].

وأنّ كمال المؤمنين في عُلو أخلاقهم، فقال:(أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا)[4].

وأنّ أقربهم منه منزلة يوم القيامة مَنْ حسُن خلقه، فقال: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا)[5].

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق)، وقال الجنيد رحمه الله: (أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان)[6].

فكيف إذا اجتمعت محاسن الأخلاق مع العلم والدعوة إلى الله تعالى فلا شك أن تؤتي ثمارها.

أما إذا وجد علم بلا أخلاق فقليل من يتأثر من هذه الدعوة، وإن كان هناك تأثر فهو للعلم الذي يحمله هذا الداعي لا لأخلاقه.

فحري أن يكون الداعي إلى ربه حسن الخلق لين الجانب قريب إلى النفوس وإن حمل أعلى الشهادات ونال أعلى المناصب فلا يبقى له إلا الذكر الحسن والواقع أكبر شاهد على ذلك.

ثانيًا: دلالة العبادة على القيم الخُلقية:

العبادة: هي طريق الكمال الذاتي والاجتماعي مبدأً ومنتهى، وبه يتضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[7]

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٣).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، (١/ ٥٣٤)، حديث (٧٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، (٤/ ١٨٩)، حديث (٣٥٥٩).

(٤) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه الحديث ٤٦٨٢؛ والترمذي كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها الحديث ١١٦٢، وقال: حديث حسن صحيح، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ٢٨٤.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من مسند الشاميين الحديث ١٧٨٨؛ وسنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق الحديث ٢٠١٨ وقال: حديث حسن؛ وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم ٧٩١.

(٦) إحياء علوم الدين (١/ ٨٩٦)، مرجع سابق.

(٧) سورة الذاريات: ٥٦-٥٨.

ومما يوضح تجلِّي العبادة ومركزيتها في القيم الخُلقية أن تحقيق القيم الخُلقية غاية للشريعة الإسلامية في جل أحكامها، يقول الشيخ ابن عاشور: "الشريعة الإسلامية هي أرقى الشرائع في احتراش الفضيلة من مكامن خفائها، واجتثاث الرذائل من جراثيم أدوائها"(١).

وفي هذا المعنى أمر دقيق أشار إليه الشيخ ابن عاشور في قوله: "أن خلاصة حكمة التشريع الإسلامي وغايته تيسير الحسنى والفضائل حتى تصير دأبًا للمسلمين وعادة"(٢)؛ فالمتمعن في العلاقة بين القيم الخُلقية والعبادات الشرعية يظهر له ارتباطهما من ناحيتين:

الأولى: أداء العبادات الشرعية:

أي أن الشريعة الإسلامية جعلت من التخلق أسلوبًا في تكاليفها؛ فالعبادات قائمة على التكرار الذي هو حقيقة حصول التخلق في الإنسان.

بمعنى أن تحقيق العبادات الشرعية جاء منسجمًا مع كيفية تكوين الأخلاق في الطبيعة الإنسانية من خلال التدريب لنيلها؛ وذلك باتخاذ طرائق متعددة في العبادة تدفع السائر عليها إلى ألفة الفضائل.

وهذا حينما يكون الإنسان يؤدي هذه العبادات، ولكن يجدها شاقة على نفسه وبالمداومة عليها ترتاض النفس ذلك. فيتبين من ذلك أن من أثر العبادات جاء تحقيق القيم الخُلقية في النفس والسلوك.

ومما يبين ذلك ما جاء عن عائشة ل أنها قالت: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»(٣). وقد حذر الله من سوء الخاتمة التي هي في معنى إبطال الدوام على العبادات والتخلق بها واعتيادها(٤).

فلما كانت العبادات تتميز بالتكرار والمداومة، وحقيقة الأخلاق قائمة على الاعتياد والممارسة حتى تكون هيئة راسخة، فإن العبادات من وسائل تحقيق الأخلاق الكريمة.

يقول ابن عاشور: "إن الإسلام شرع العبادات أفعالًا وأقوالًا تزكي النفس وتبعثها على التنزه والكمال؛ كالصلاة بما فيها من أقوال وأفعال، والصوم والحج والصدقات، ولم تجعل لما عدا ذلك حظًّا في العبادة"(٥).

---

(١) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، (٢/ ٧٥٠).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٧٥٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، ح (٦٤٦٤)، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، (٨/ ٩٨). ومسلم في صحيحه، ح (٧٨٣)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، (١/ ٥٤١).

(٤) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: ٧١).

(٥) المرجع السابق، (ص: ٣٠).

فانتظم من هذا أن من حكم كيفيات تشريع العبادات والقربات للعباد، اعتياد الفضائل واستنكار ما يضادها من القبائح والرذائل. يقول الشيخ ابن عاشور: "المقصود من مكارم الأخلاق حصول الدربة بالتدريج على ملاحظة الوصايا والإدراكات بالفضائل ملاحظة مستمرة في كل الأعمال والأحوال والأكوان حتى يحصل في تلك الدربة إلف بها وجفاء لأضدادها"(١). وقد كان لهذه المأمورات دور في إيقاظ النفس لتكون منها لوامة لا تركن إلى الباطل، ومطمئنة تستكن بالفرائض والنوافل؛ والنفوس المؤمنة فيها ما بين مقل ومستكثر.

وعليه فإن للقيم الخُلقية دورًا بالغًا في حسن العبادات والإدامة عليها، وعند التمعن يتضح أن العلاقة بين القيم الخُلقية والعبادات علاقة تبادلية تكاملية؛ فعندما يألف الإنسان العبادة تصبح له سجية وعادة، وفي المقابل تكون تلك العبادة داعية إلى تقويمه واستمراره على القيم وحصول الطاعة.

الثانية: امتثال العبادات الشرعية:

وذلك يكون بتخلق الإنسان بالأوامر الشرعية إلى أن تكون هيئة راسخة في نفسه لا يستطيع العيش دونها، كما بينه في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢).

وهذه غاية الشرائع الإلهية، وهذه المرحلة لا يصل إليها أي أحد، وبذاك حقيقة الإيمان التي تتجسد في "قول اللسان وتصديق الجنان وعمل الأركان"(٣)، بإقبال دون هجران، وبذلك الإتيان بعبودية الله تعالى؛ ذلك أن التشرع بالشريعة هو فحوى التخلق بها.

وبهذا يتضح علاقة العبادات الشرعية الإسلامية بالقيم الخُلقية، وكأن ذلك يتم في مرحلتين، الأولى: الإتيان بالأوامر الشرعية، والثانية: امتثالها كالسجية.

والعبادات تقوي في النفس مكارم الأخلاق، فعند استقراء أدلة الكتاب والسنة ليبرهن على أن العبادة الحقة لابد أن يكون لها أثر في نفس صاحبها وأخلاقه وسلوكه.

ومما جاء في الكتاب والسنة مما يقتضي نفي الإيمان عن مرتكب المعصية، كقوله صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: ١١٦، ١١٧).

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٣) معنى الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[١]، يريد أن ذلك لا يقع منه وهو في حال الإيمان، أي في حال رسوخ الإيمان منه وكونه خلقًا وسجية؛ فتعمق الإيمان بمقدار التخلق به إلى أن يكون أعظم من الطعام والشراب بله والنفس والهواء.

وبامتثال القيم الخُلقية يعود الإنسان إلى صورته الأولى التي صوره الله عليها خيرًا سالمًا من الشرور والخواطر الشريرة، وهو معنى قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٢] ولعل الأنسب أن يقال ذو نفس مطمئنة تركن على الخير وتستحسنه وتنفر من الشر وتستقبحه؛ ذلك أن سلامة إدراك التحسين والتقبيح ينتج من سلامة العقيدة ونقاء الفطرة.

وبهذا يتأكد علاقة القيم الخُلقية بالعبادة، وأن حقيقة التدين تخلق بتعاليم الدين إلى أن تكون عادة وسجية تصلحه ويتعدى نفعها لمن حوله، بمعنى أن الشريعة الإسلامية جعلت من التخلق بها ميزان تحقيقها فيكون قدر الإيمان بقدر التزام التكاليف كمًّا وكيفًا.

يقول الشيخ ابن عاشور: "إذ قد علمنا علم اليقين بأن التشريع جاء على سواء لسائر أفراد الأمة، علمنا أن المقصد منه أن يصير أفراد الأمة مجبولين على مكارم الأخلاق"[٣].

إنَّ الأَخْلاقَ التي تنمِّيها العباداتُ في النفْس ليس المقصود منها أن تكونَ أخلاقًا أنانيَّة ذاتيَّة للشخص نفْسِه فحسب، ولكنَّ المقصودَ منها أن تكونَ أخلاقًا اجتماعيَّة يتعامل بها مع الناس؛ لهذا كانَ المقصودُ من العبادات والغاية منها هو تربية الأَخْلاق في النفْسِ وتنْميتها؛ لكي تَحْسُنَ المعامَلات والعقود التي تجري مع الناس تبعًا لسنَّة الحياة وناموس الطبيعة الإنسانيَّة الاجتماعيَّة.

إن معيار صلاح العبادة ما تحدثه في النفس البشرية من تغيير وفائدة. وعليه فإن أداء العبادات على وجهها كفيل بإصلاح الأخلاق ورقيها.

فعالمية الشريعة الإسلامية وعمومها تهدف إلى تحقيق القيم الخُلقية في أهلها؛ إذ إنه عندما تأتي جميع الأمة نفس العبادة لا شك أن ذلك ثمرته أن تكون صفاتهم متقاربة في الحسن والسيرة؛ فوحدة الوجهة تؤول إلى وحدة الطوية. وعليه فكلما التزم العباد أمر ربهم أدى ذلك إلى تشابه أخلاقهم وتقارب صفاتهم ومن ثم توادهم وائتلافهم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، ح (٢٤٧٥)، كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، (٣/ ١٣٦). ومسلم في صحيحه، ح (٥٧)، كتاب الإيمان، باب بيان نقص الإيمان بالمعاصي، (١/ ٧٦).

(٢) سورة التين: ٤.

(٣) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، (٢/ ٧٥٢).

المبحث الثاني

طرق اكتساب الأخلاق بالصلاة

الصلاة لغة: اسم مصدر من قولهم صلى صلاة وهو مأخوذ من مادة (ص ل و / ي) التي تدل على أمرين الأول: النار وما أشبهها من الحمى. والآخر جنس من العبادة وهي الدعاء[١]، وقال بعضهم إن أصل الصلاة في اللغة التعظيم وسميت العبادة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب[٢].

الصلاة اصطلاحًا: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة[٣].

الآيات التي جاءت في القرآن في الصلاة:

جاءت النصوص الكثيرة في القرآن الكريم التي تحث على الصلاة وعلى أدائها وأثرها في اكتساب الأخلاق؛ فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه: (خاشعون) خائفون ساكنون وكذا روي عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري. وعن علي بن أبي طالب ﷺ الخشوع خشوع القلب. وقال الحسن البصري كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح[٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.[٦]أي "ومن زكى نفسه بالتنقي من العيوب كالرياء والكبر والكذب والغش والمكر والخداع والنفاق ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة وتحلى بالأخلاق الجميلة من الصدق والإخلاص والتواضع ولين الجانب

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، (٣/ ٣٠٠)، مرجع سابق.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الإلكترونية، ٢٠٠٨م، (٣/ ٥٠).

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري وجماعته، عبد الرحمن الجزيري، مجلة الدارة، ١٩٧٧م، (١/ ١٧٥) وأيضًا كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع، المقدسي محمد بن مفلح، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، (١/ ٢٨٥).

(٤) المؤمنون الآية:(١، ٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م (٣/ ٢٠٦).

(٦) فاطر الآية:(١٨).

والنصح للعباد وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق"[١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٢].

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه فينا نزلت الآية فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهي لي ولأصحابي[٣].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[٤]، "أي بحدودها وفروضها وأوقاتها. وانه عن المنكر بحسب طاقتك واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله أذى فأمره بالصبر"[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[٦]، " فهذه الصلوات الخمس وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات وهي مع أنها حسنات تقرب إلى الله وتوجب الثواب فإنها تذهب السيئات وتمحوها والمراد بذلك الصغائر"[٧].

وقوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٨].

قال ابن عباس ﷺ فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدًا[٩].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م (صـ٦٨٨).

(٢) الحج الآية:(٤١).

(٣) تفسير ابن كثير، (٣/ ١٩٦)، مرجع سابق.

(٤) لقمان الآية:(١٧).

(٥) المرجع السابق نفسه، (٣/ ٣٨٢).

(٦) هود الآية:(١١٤).

(٧) تفسير السعدي، (صـ ٣٩١)، مرجع السابق.

(٨) العنكبوت الآية:(٤٥).

(٩) تفسير ابن كثير، (١/ ٣٥٥)، مرجع سابق.

الأحاديث التي جاءت في السنة في الصلاة:

جاءت الأحاديث في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام والتي تحث على أداء فريضة الصلاة وتبيّن مدى أثرها في اكتساب الأخلاق؛ فمن ذلك:

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما نقول ذلك يبقى من درنه. قالوا: لا يبقى من درنه شيئًا قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا»(١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد الحسنات؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء في المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة ما منكم من رجل يخرج من بيته فيصلي مع الإمام ثم يجلس ينتظر الصلاة الأخرى إلا والملائكة تقول: اللهم اغفر له. اللهم ارحمه»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر»(٣).

ما أجمل والله استشعار هذه الأحاديث العظيمة على قائلها أفضل الصلاة والسلام وما أعظم القيام بهذه الشعيرة حق القيام حتى نقطف من ثمارها ونستظل بظلالها فهي تزكي النفس والبدن وهي الصلة بين العبد وربه جل وعلا، الصلاة الحقيقية زكاة للقلب وشفاء للبدن وتهذيب للأخلاق إذ بها المناجاة مع رب الأرض والسماء.

أثر الصلاة في اكتساب الأخلاق:

الصلاة هي العبادة الأولى في حياة المسلم التي لا عذر مقبول لمن تركها بل لا يعد الفرد مسلمًا إلا بتأديتها، وقد جعلها الله قربةً له من جهة، وتهذيبًا لأخلاق المسلم من جهةٍ أخرى، فالمحافظة عليها بشروطها وأركانها والمداومة عليها في أوقاتها وجماعاتها وإخلاصها، ينعكس قطعًا على مؤديها في مجمل أخلاقه وسلوكه وحياته، إذ هي وسيلة عظمى لاكتساب الأخلاق والفضائل بمجملها.

ففيها ومن خلالها يتربى المسلم على منظومة واسعة من الأخلاق الحميدة، من ذلك الإخلاص والصدق والخشية والطهارة والإتقان والإحسان والإخوة ورقابة الله واستشعار المسؤولية ومحبة الخير للخلق وتعزيز

(١)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، (١/ ١١٢)، حديث:(٥٢٨).

(٢) أخرجه في مسلم صحيحه، كتاب الصلاة، باب إسباغ الوضوء على المكاره، (٢/ ٢١٩) حديث:(٢٥١).

(٣) أخرجه في مسلم صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.، (١/ ٢٠٩) حديث:(٢٣٣).

الروابط الاجتماعية، فضلًا عن التدرب على الدقة والنظام والانضباط واحترام الوقت.

إن حسن الخلق الأولى والأكمل هو خلق الإنسان مع ربه سبحانه وتعالى، وذلك بعبادته ومراقبته والتقرب إليه، وفعل ما يحبه ويرضاه، وإن أعظم تلك العبادات هي الصلاة، فإذا جاهد المرء نفسه في تحسين أخلاقه مع ربه وأداء حقه بأداء الصلاة، فإن الله تعالى سيجزيه بتجميله بحسن الأخلاق التي ينعكس خيرها عليه في الحياة وبعد الممات.

إن المتأمل في كتاب الله ﷻ ليجد علاقة راسخة ووطيدة وجلية ظاهرة بين الأخلاق واكتسابها وبين الصلاة في آيات القرآن الكريم، فقد قرن الله بين الصلاة والصبر في القرآن كثيرا، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢]، فبالصبر تنال أعلى مقامات الفضائل، وبالصلاة تجتنب أخبث الفواحش والمنكرات[٣].

ثم يصرح القرآن بتلك العلاقة الوطيدة بين الصلاة والتخلص من مساوئ الأخلاق والرذائل والمنكرات، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٤]، "فالصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر؛ وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة، والصلاة تشغل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة "[٥].

وهكذا كانت العلاقة بين الأخلاق الفاضلة وإقامة الصلاة، وبين تركها والأخلاق الذميمة.

وهناك علاقة وثيقة بين الأخلاق والصلاة تذكرها الروايات والقرآن الكريم بل أن بعض الآيات تقدم أهمية الخلق

---

(١) البقرة جزء الآية:(٤٥).

(٢) الرعد جزء الآية:(٢٢).

(٣) ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م (١ / ١١٩).

(٤) العنكبوت الآية:(٤٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م(١٣ / ٣٤٨).

(الحسن قبل الصلاة، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ البقرة: ٨٣).

أليسَ عجيبًا أن تكونَ الرَّابطةُ الوثيقةُ بينَ الصلاةِ والأخلاقِ معلومةً راسخةً عندَ الكُّفارِ، وتغيبُ عن كثيرٍ من المسلمينَ الكِبارُ منهم قبلَ الصِّغارِ، من ذلك الحوار الذي دار بين أبي سُفيانَ -رضيَ اللهُ عنه- وهرقل قبلَ إسلامِه، لمَّا سألَه هِرَقلُ ملكُ الرُّومِ عن النَّبيِّ -صلى اللهُ عليه وسلمَ- قَالَ: "مَاذَا يَأْمُرُكُمْ، قَالَ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ"[1]. فربطَ بينَ الصَّلاةِ والأخلاقِ الحَسنةِ.. والعجيبُ أيضًا هو قولُ هِرَقْلَ لَهُ: "سَأَلْتُكَ، مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ: أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ". فدينُ الأنبياءِ دينُ أخلاقٍ مع عبادةِ الواحدِ القَّهارِ.. وأما الأخلاقُ دونَ عبادةٍ فكَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ.

وكذلكَ لمَّا سألَ النَّجاشيُّ -رحمَه اللهُ- جعفرَ بنَ أبي طالبٍ -رضيَ اللهُ عنه- عن دينِ محمدٍ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ-، قالَ له: "أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ"[2]. فذكرَ الأخلاقَ قبلَ أصولِ العبادةِ الكُبرى، وذلك لتأثيرِها في أصحابِ الأديانِ الأخرى، فأول ما ذكر جعفر الأخلاقيات ثم بعدها ذكر الصلاة، إشارة الى أن الإسلام جاء ليرسخ القيم الأخلاقية وبالصلاة تترسم هذه القيم الأخلاقية الفطرية والمكتسبة.

فالأخلاقُ الاجتماعيَّة التي تنمِّيها الصلاة في النفْسِ كثيرة؛ منها: المساواة ،والشكر، والخوف والمراقبة المستمرة، والمواظَبة على العمل، فالمساواة في الصلاة بين الناس مَهْمَا اختلفتْ أجناسُهم وتباينتْ منازلُهم، وتنوَّعتْ ألوانُهم، فالجميع يقفُ أمامَ الله في صفٍّ واحدٍ، تنتفي فيه فوارقُ الثراءِ وتمايز العرق والنسب، واختلاف اللسان، وتسقط قيمة ألوانُ البشر؛ فيشعر الفردُ بأنَّه من جزء من المجتمع المحيط به، وتتوثَّق الروابط الإنسانية التي تُعين على التعاوُن في جميع المجالات الحياتية، وفي مجال المعاملات المالية التي هي في أشدِّ الحاجة إليها،

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم ٧، ١/ ٨.

(٢) مسند الإمام احمد بن حنبل، كتاب المغازي والسير، باب الهجرة إلى الحبشة، ٦/ ٢٦.

لا سيما الشعورُ بالمساواة والإخاء، كما أن الصلاة في ذاتها هي عملٌ خالصٌ في تعظيم الحمد والشكر لله تعالى والثناء لله عليه، وبالمتابعة في الصلاة والمواظَبة عليها تنمو في النفْسِ غريزة الشكر.

والصلاة تُنمِّي في نفْس المسلم غريزة الخوف من الله – عز وجل – دائمًا، وما أحوج العقود والمعاملات بيننا إلى غريزةِ الخوف والمراقبة لله – عز وجل – فتنْأَى النفسُ عن السرقة والغصب والغش والاخْتلاس، والغبن والغَرر.

ونستنتج مما سبق: أن أداء الصلاة على وجهها المطلوب بخشوع يولد في النفوس أحاسن الأعمال الصالحة ومن أجلها وأعظمها اكتساب الأخلاق والخصال الحميدة.

الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من الصلاة:

وفي ختام هذا المبحث يرى الباحث من خلال تصوره للموضوع، إن اكتساب الأخلاق عمليًا من خلال عبادة الصلاة يتطلب سلوك الطرق الآتية:

١. تمام الإخلاص فيها وتحقيق النية الخالصة التي لا تشوبها شائبة، فإنما الأعمال بالنيات.
٢. طلب القربة من الله تعالى تعبدًا له والإقبال عليه سبحانه وتعالى بصدق من خلال عبادة الصلاة.
٣. تأدية الصلاة تأديةً صحيحةً بكامل شروطها وأركانها وآدابها وفق صلاة النبي صلى الله عليه وسلم.
٤. الحرص على تأدية فروض الصلاة مع الجماعة في المسجد؛ لما لصلاة الجماعة من أثر أخلاقي لا يخفى.
٥. استيعاب غاياتها الأخلاقية وأبعادها القيمية ومراميها الاجتماعية، وجعل الصلاة وسيلة، سواءً تحقق ذلك الاستيعاب بشكل فردي أم من خلال الوسائط الدعوية والتربوية.
٦. التحقق بما تستلزمه الصلاة وما يترتب عليها ويتحقق بها من اجتناب المعاصي والفواحش والمنكرات.
٧. الحرص على تأدية بعض نوافل الصلاة وسننها الواجبة منها والمستحبة لاسيما صلاة الوتر وقيام الليل.
٨. تصحيح النظرة الذاتية للصلاة والتعامل معها كأعظم العبادات المفروضة لا عادة من العادات الاجتماعية اليومية وفق ما تربى عليه في أسرته.
٩. منح الصلاة الأولوية العملية على كافة الأعمال والأشغال، وتأديتها في كافة الأوضاع والظروف، بما في ذلك مع المرض والحرب والخوف.

المبحث الثالث

طرق اكتساب الأخلاق بالزكاة

الزكاة لغة: أصل المادة يدل على الزيادة والنماء. قال ابن فارس:" الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة"(١)، والزكاة:" زكاة المال معروفة وهو تطهيره والفعل منه زكى يُزكي تزكية إذا أدى من ماله زكاته. وقيل الزكاة صفوة الشيء وزكاه إذا أخذ زكاته"(٢).

من خلال ما سبق: يمكن القول إن الزكاة في الاشتقاق اللغوي تطلق ويراد بها الزيادة والنماء وتطهير المال وصفوة الشيء.

الزكاة اصطلاحًا: "اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة"(٣).

الآيات التي جاءت في القرآن في الزكاة:

جاءت الآيات الكثيرة في القرآن والتي تحث على فريضة الزكاة ومن ثم تؤثر في اكتساب الأخلاق تأثيرا عظيما؛ فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٤).

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(٥).

قال قتاده – رحمه الله – "يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذيلة(٦)".

وقيل: "أي طهر نفسه من الذنوب ونقاها من العيوب ورقاها بطاعة الله وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح"(٧).

وهذه الصفات يجب أن يتحلى بها الداعي إلى ربه تعالى وأن تكون نفسه زكية طاهرة عن رذائل الأمور

---

(١) مقاييس اللغة، (٣/ ١٧)، مرجع سابق.

(٢) لسان العرب، (٤/ ٣٣٩)، مرجع سابق.

(٣) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، دار عالم الكتاب، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م، (٥/ ٣٢٥).

(٤) التوبة الآية:(١٠٣).

(٥) الشمس الآية:(٩).

(٦) تفسير ابن كثير، (٤/ ٤٥١)، مرجع سابق.

(٧) تفسير السعدي، (٩٢٦)، مرجع سابق.

وسفاسفها عالي الهمة طيب النفس لين الجانب سامي الخلق، حتى تقبل دعوته ويصل لهدفه المنشود وهو التحول بالمدعو من سيئ إلى حسن ومن حسن إلى أحسن.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[١]. أي "قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق"[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٣].

(أزكى لهم) بمعنى" أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته[٤]".

وما أجمل وأروع وأحسن أن تكون نفس الداعي إلى ربه زاكية مطهرة من شوائب الشرك والشبه والضغائن والأحقاد والتعصب وأن يكون هدفه الأسمى وهمته العليا إيصال الخير للغير وفق المنهج الحق.

الأحاديث التي جاءت في السنة في الزكاة:

جاءت الأحاديث الكثيرة في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام والتي تحث على فريضة الزكاة وتبين مدى أثرها في اكتساب الأخلاق؛ فمن ذلك:

ما جاء عن زيد بن أرقم ﷺ أنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر. اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»[٥].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وسجودهن ومواقيتهن وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا وأعطى

---

(١) الأعلى الآية:(١٤).

(٢) تفسير السعدي، (٩٢١)، مرجع سابق.

(٣) النور الآية:(٣٠).

(٤) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٤٣)، مرجع سابق.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٤/ ٢٠٨٨) حديث رقم (٢٧٢٢).

الزكاة طيبة بها نفسه وأدى الأمانة»[١].

والمتأمل في آيات وأحاديث الزكاة يجد أنها تزكي النفس وتطهرها وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان زاكيًا بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وحينما نبتعد عن النهج النبوي في كل شيء نتعب بل نشقى ولذلك النبي ﷺ يدعو ربه في كل وقت وحين أن يزكي نفسه بالعمل الصالح والعمل النافع مع أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولكن لسنن المسلم بسنة ويسير الداعي على منهجه فعليه الله ﷺ ما أحسن والله العيش مع أحاديثه وآدابه وسيرته في جميع شؤون الحياة الدنيوية والأخروية.

أثر الزكاة في اكتساب الأخلاق:

إن المعاني التي تدور عليها الزكاة تبين علاقتها الوثيقة باكتساب الأخلاق وتهذيبها، فمن معانيها في اللغة: "الطهارة والبركة والنماء والصلاح"[٢]، وقال الفراء رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾[٣] قال: "صلاحا".[٤]

لذا؛ كان من أعظم المقاصد الشرعية في الإسلام هو الأمر بأداء فريضة الزكاة؛ لأن ذلك ينشر التعاون بين المسلمين ويقوي أخلاقهم، ويطهرهم من الذنوب والآثام، فلقد غرست فريضة الزكاة الأخلاق الفاضلة في المسلمين في الصدر الأول من الإسلام وقومت سلوكهم، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٥].

فهذه الأدلة في القرآن والسنة تُبين شمولية المقصد من أداء الزكاة؛ حيث فيها طهارة وتزكية النفس والمال، والترابط بين أفراد المجتمع، والتعاون على البر والتقوى، ومحبة الله تعالى، ونيل رضاه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب المحافظة على وقت الصلوات، (١/ ١١٦) حديث (٤٢٩)، وقال الشيخ الألباني (١/ ٨٧) حسن برقم (٤١٤).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ (صـ٢٣٠).

(٣) مريم الآية:(١٣).

(٤) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، (صـ١٦٣)

(٥) التوبة الآية:(١٠٣).

تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾[١]، " فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس من أكبر الأدلة على سماحة النفوس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورأفتها"[٢]

فالزكاة تطهيرٌ للغَني من الشُّحِّ والبُخْل يقول – سبحانه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾[٣]، ولذلك وصفَ الله – سبحانه – النفسَ السمحة التي تغلَّبتْ على شُحِّها بالفلاح والفوز؛ يقول – عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤].

كما تطهِّرِ الزكاةُ الفقيرَ من الحِقْد والحسد والبغضاء، وتطبعُ نفسَه على المحبَّة والسماحة، والأخلاق الاقتصاديَّة التي تنمّيها الزكاةُ كثيرة؛ منها: الحثُّ على الاستثمار والاستهلاك، وكلاهما ضروريّ في مجال العقود والمعاملات، فتحصيلُ الزكاةِ من الأغنياء يدفعُهم إلى استثمار أموالِهم وإلا تآكلتْ من الزكاة.

وكذلك تحثُّ الزكاةُ على الاستهلاك، فالذين يَحْصُلون على الزكاة يستهلكونها في قضاءِ حوائجهم؛ مما يؤدِّي إلى زيادةِ الاستهلاك، وهذا يؤدِّي بدورِه لزيادة الاسْتثمار، وسداد ديون الغارمين من الزكاة يشجِّعُ الأغنياءَ والفقراء على القرْض والاقْتِراض لضمان السداد من سهْم الغارمين إذا عجزَ الفقيرُ عن أداءِ الدَّيْن، وهذا بدوره يؤدِّي إلى الاسْتثمار.

كذا فالزكاةُ تحثُّ على العمل وتشغيلِ رؤوس الأموال والعاطلين، فحينما يقضي الفقيرُ حاجاته يؤدِّي إلى كثرة الاستثمار والاستهلاك؛ مما يؤدي إلى الحثِّ على العمل وتشغيل العاطلين.

والزكاة مثل الصلاة في علاقتها بالأخلاق. فالمزكي عندما يستشعر حال إخراجه للزكاة أنَّه بفعله هذا يطيع ربَّه، ويمتثل أمره، ويخزي شيطانه، ويفكُّ يوم القيامة رهانه، وينمي ماله، ويعين الفقراء والمساكين، ويقي نفسه شحها، ويردعها عن هواها، وينشر جوًا من المحبَّة والأُلفة والمودة تغمر جماعة المسلمين، وينشئ علاقة وطيدة بين الأغنياء وبين الفقراء والمساكين فإنَّه يخرجها طيبةً نفسُه بها، راضيةً بما افترض الله عليها، فيكون حريصًا على عدم تأخيرها، مجتهدًا لوضعها في يد مستحقيها.

إن الزكاة تقلل من الشغف بالمال والحرص عليه لدى المزكي، وتجعله على يقين تام أن المال مال الله وهو

(١) آل عمران الآية:(٩٢).

(٢) تفسير السعدي (صـ١٢٢)، مرجع سابق.

(٣) التوبة: الآية (١٠٢).

(٤) الحشر: الآية (٩).

المعطي والواهب والمتفضل والرازق، وأن ما يعطيه من زكاة وغيرها ليست فضلًا منه على المحتاجين، بل واجب عليه وحق لهم وعبادة لله وشريعة افترضها الله عز وجل.

عندما يفقه المسلم ذلك يجد نفسه لا تكتفي بدفع الزكاة الواجبة فقط، بل يسعى في البذل والعطاء في وجوه البر، التي يقدر عليها، وإن لم تكن مفروضة عليه، وتتوق نفسه لجميع أنواعِ البذل والعطاء، التي تدل على زُكُو نفسه، وطهارتها.

والزكاة تُطَهر صاحبها من الشُّح وتُحرِّرُه من عُبوديَّة المال، وهذان مَرضان من أَخطر الأمراض النَّفسية التي يَنحطُّ معها الإنسان ويشقى، ولذلك سبق قوله تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأولئك هُمُ المُفلِحُون}[١]، وقال صلى الله عليه وسلم: «تعس عَبدُ الدِّرهَم، تَعِسَ عبد الْخَمِيصَةِ»[٢].

وكذلك الزَّكاة تدريبٌ على الإحسان والإنفاق في سَبيلِ الله، وقد ذَكر الله تعالى الإنفاق في سَبيل الله على أَنَّه صفةٌ ملازمة للمتَّقين في سرّائهم وضَرّائهم، في سِرّهم وعَلَنهم، وَقَرنها من أَهمّ صفاتهم على الإطلاق... قَرنها بالإيمان بالغيب والاستغفار بالأَسحار، والصَّبر والصدق، والقُنوت، ولا يَستطيع الإنسان الوصول إلى الإنفاق الواسع في سَبيل الله، إلاّ بعد أن يعتادَ أداء الزكاة، وهي الحدّ الأَدنى الواجب إنفاقه.[٣]

الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من الزكاة.

وفي ختام هذا المبحث يرى الباحث من خلال تصوره للموضوع، إن اكتساب الأخلاق عمليًا من خلال عبادة الزكاة يتطلب سلوك الطرق الآتية:

١. إخراج الزكاة عبادةً لله تعالى لا عادةً مفروضةً عليه.
٢. ابتغاء مرضاة الله بإخراجها لا مرضاة الحكام وولاة الأمر والجهات الجامعة لها.
٣. إخراج أنصبتها الكاملة المشروعة دون تلاعب أو نقصان.
٤. الفرح والسرور بإخراجها لفرحة مستحقيها والمستفيدين منها.
٥. اليقين بإن إخراج الزكاة ربح لا خسارة ولا ينقص المال بسببها مطلقا.

---

(١) سورة الحشر: ٩

(٢) الأربعون في الحث على الجهاد، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، رقم الحديث٣٥، ص ١٠٩.

(٣) موقع إسلام أون لاين، أهداف الزكاة وآثارها: https://islamonline.net/archive

٦. حمد الله وشكره الذي أعان ووفق في إخراجها.

٧. الإكثار من الصدقات الطوعية بعد إخراج الزكاة الشرعية المفروضة.

٨. الزكاة استثمار للمال وزيادة فيه لا إنقاص منه.

المبحث الرابع

طرق اكتساب الأخلاق بالصيام

الصوم لغة: مصدر صام يصوم صومًا وصيامًا. مأخوذ من مادة (ص و م) التي تدل على «إمساك وركود في مكان».

والصوم أيضًا: ركود الريح والصوم استواء الشمس انتصاف النهار كأنهار ركدت عند دورانها وكذلك يقال صام النهار[1].

واصطلاحًا: هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات يومًا كاملًا بنية الصيام من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

قال الجرجاني: الصوم في الشرع عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية[2].

الآيات التي جاءت في القرآن في الصيام:

جاءت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم تحث على فريضة الصيام ومن ثم تؤثر في اكتساب الأخلاق تأثيرا عظيما؛ فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[4].

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. فإن الصائم في الغالب يكثر من

---

(١) مقاييس اللغة، (٣/ ٣٢٣)، مرجع سابق .

(٢) التعريفات للجرجاني، (١٤١)، مرجع سابق .

(٣) البقرة: الآية:(١٨٣).

(٤) البقرة: الآية:(١٨٧).

الطاعات والطاعات من خصال التقوى والصوم يضيق مجاري الشيطان فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي(١).

الأحاديث التي جاءت في السنة في الصيام:

جاءت الأحاديث الكثيرة عن المصطفي عليه الصلاة والسلام تحث على فريضة الصيام وتبين مدى أثرها في اكتساب الأخلاق؛ فمن ذلك:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله عز وجل لكرم ضر بيته وحسن خلقه»(٢).

وعن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من صام رمضان إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٤).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»(٥)

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»(٦).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الصوم) هو لجام المتقين وجُنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطلة وحمايتها من التخليط الجالب لها المؤدي لفسادها إلى أن قال رحمه الله فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى(٧).

---

(١) تفسير السعدي، (صـ ٨٦)، مرجع سابق.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، (١١/ ٢٢٩)، حديث (٦٦٤٨) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المدنيين، (٢٦/ ٢٠٦)، حديث (١٦٢٧٩) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان، (١/ ١٦)، حديث:(٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الصوم في سبيل الله، (٤/ ٢٦)، حديث:(٢٨٤٠).

(٦) أخرجه الترمذي في السنن، (٢/ ٢٧٥)، الحديث رقم: (٧٤٧) وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م (٢/ ٢٩).

أثر الصيام في اكتساب الأخلاق:

إن من أجلّ العبادات إلى الله سبحانه وتعالى والتي يتقرب العبد المسلم من خالقه ويحصل بها الثواب والأجر العظيم وجوب الصيام؛ فقد جعل الله سبحانه وتعالى صوم شهر رمضان فرضًا واجبًا على كل مسلم سالمًا من موانع الصيام؛ لأنه من أركان الدين الإسلامي.

وهذا يدل على أهمية هذه العبادة في حياة المسلم، ودورها العظيم في إصلاح نفسه وخلقه، ومعرفة كيفية اكتساب الأخلاق منها؛ لأن خالق الإنسان لم يُشرّع هذه العبادة لخلقه إلا فيما يحقق لهم كل خير في هذه الدنيا ويبعدهم بها عن كل شر، أضف إلى ذلك أنّ الله جعل من الحكمة الشرعية من الصيام التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1] وفي معنى (لعلكم تتقون)"قيل بالمحافظة عليها أي بامتثال أمر الله تتقون عقابه، وقيل: تتقون المعاصي بسبب هذه العبادة لأنها تكسر الشهوة وتضعف دواعي المعاصي"[2]

فالمقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به عافية حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وثورتها، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين[3].

ومن هذا يتضح لكل عاقل ما للقرآن من مقاصد أخلاقية في تشريع الصيام، ولكن يبقى طرْقُ سؤال وهو:

هل الجوع والعطش كانا بدون غاية تُقصد؟

الجواب: لا، لأن الشارع الحكيم بيّن أنّ الجوع والعطش أثناء الصيام؛ مِنْ أجل اكتساب أعلى الأخلاق وأهذبها وهي تزكية النفس لخالقها، وامتثالها لأوامر الله الحكيمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: (الصيام

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) ينظر: القولين في فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ (١ / ١٩٧).

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، (صـ ٢٠١)، باختصار يسير.

جنة فإذا كان يوم صوم أحكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب[١]، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم)[٢]؛ فلم يكن ترك الأكل والشرب فقط أثناء الصيام، بل الغاية النبيلة من الصوم هي الرقي بالمسلم لأعلى درجات الأخلاق؛ لأن الصيام جُنّة له من الوقوع في الأخلاق الذميمة.

قال النووي رحمه الله: (الصيام جنة) ومعناه سترة ومانع من الرفث والآثام [٣].

لذا؛ على الصائم ترك ما يعكر هذا الصيام ويقدح فيه ويمسك لسانه وجوارحه من الوقوع في مفسدات الصوم، قال رسول الله ﷺ : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[٤].

فدلّت هذه الأدلة أنّ من نتائج تكليف المرء المسلم بهذا الصيام هو تزكية الأخلاق وتهذيبها وتصفية النفس من أشرارها، حتى تصل إلى درجة التقوى، وأيضًا يحصل من خلال الصيام ما يترتب عليه أثناء الصيام من الجوع والعطش، الرحمة بالمساكين والمحتاجين في رمضان وغيره، لأن الصيام رابطة بين أفراد المجتمع المسلم.

الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من خلال الصيام:

والصيام كغيره من العبادات لكي يُثمّر أخلاقًا يتطلب سلوك الطرق الآتية:

١. أن يكون خالصًا لله تعالى لا عادةً ومجاراةً للصائمين، فالصيام لله وحده.

٢. إرفاقه بعبادات أخرى؛ من قراءة قرآن، وذكر، ونوافل، وإفطار الصائمين.

٣. الحرص خلال ليالي رمضان على أداء صلاة القيام في المسجد جماعة؛ فصلاة التهجد مع الجماعة لها أثرٌ بالغ.

٤. التحلي بآدابه ومقتضياته فلا رفث ولا صخب ولا فسوق ولا فحش ولا عصيان.

٥. حفظ اللسان من كل آفاتها ومساوئ القول.

٦. الأكل الحلال الطيب دون إسراف أو زيادة عن الحاجة.

---

(١) قوله ولا يصخب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (صـ٥٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: باب فضل هل يقول إني صائم إذا شتم، (٢/ ٢٦)، حديث:(١٩٠٤).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢، (٨ / ٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: باب قول الله تعالى: {واجتنبوا قول الزور} [الحج: ٣٠]، (٨/ ١٧)، حديث:(٦٠٥٧).

٧. الإكثار فيه من الصدقة، فهو موسم ينتظر فيه الفقراء الصدقات.

٨. إخراج الزكاة الواجبة إذا حال عليها الحول، فلعل إخراجها في رمضان جمعٌ بين عبادتين.

٩. تفقّد المحتاجين ومواساتهم بالعطاء لاسيما الأقربين بالمقام الأول.

١٠. الإقلال من الطعام فيه، وأن لا تكون ليالي أكل وشرب تُفقد الصوم مقاصده التربوية وغاياتنه والاجتماعية.

ويمكن إجمال ما يمكن أن يترتب على الصيام بما يأتي:

١. تهذيب النفس وسموها وترفعها عن الدنايا.

٢. رقة القلب والوجدان والمشاعر والعاطفة.

٣. إدراك فضل الله وإنعامه.

٤. الإحساس بالآخرين والشعور بهم وبمتاعبهم.

٥. حب الخير والنفع للآخرين وتفقد حاجاتهم.

٦. الدربة على العفو والسماحة وكظم الغيظ والغضب.

٧. الصبر والقناعة وتحمل المتاعب والمشاق.

المبحث الخامس

اكتساب الأخلاق بالحج

الحج لغة: مصدر قولهم حَجَ يَحجُ هو مأخوذ من مادة (ح ج ج) التي تدل على أربعة معانٍ:

الأول: القصد. **والثاني:** الحِجة وهي السنة **والثالث:** الحجاج بفتح الحاء وكسرها وهو العظم المستدير حول العين. **الرابع:** الحجه بمعنى النكوص(١).

الحج اصطلاحًا: قصد بت الله إقامة للنسك وقال الحافظ في الفتح: الحج في الشرع: القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة(٢).

الآيات التي جاءت في القرآن في الحج:

جاءت الآيات الكثيرة في القرآن تحث على فريضة الحج ومن ثم تؤثر في اكتساب الأخلاق تأثيرا عظيما؛ فمن ذلك:

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٣).

يقول تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(٤).

"قال عطاء بن أبي رباح ﷺ الرفث هو الجماع وما دونه من قول الفحش، وقال ابن عمر رضي الله عنهما عن كلمة «فسوق» إتيان معاصي الله في الحرم وقيل الفسوق هنا السباب، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما"(٥).

والجدال هو: المماراة والمنازعة والمخاصمة لكونها تثير الشر وتوقع العداوة، "وقد أمر تعالى في ختام الآية الكريمة بالزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في الدنيا والآخرة وهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار وهو

(١) مقاييس اللغة، (٢/ ٣٠٠)، مرجع سابق.

(٢) التعريفات للجرجاني، (٨٢صـ)، مرجع سابق.

(٣) البقرة الآية:(١٩٦).

(٤) سورة البقرة الآية:(١٩٧).

(٥) تفسير ابن كثير، (١/ ٢٠٧)، مرجع سابق.

الموصل لأكمل لذة وأجل نعيم دائم أبدًا بإذن الله"[١].

الأحاديث التي جاءت في السنة في الحج:

جاءت الأحاديث الكثيرة عن المصطفي عليه الصلاة والسلام تحث على فريضة الحج وتبين مدى أثرها في اكتساب الأخلاق؛ فمن ذلك:

ما جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « تابعوا بين الحج والعمرة فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[٣].

والحج المبرور هو الذي لا يخالطه إثم، أو المتقبل الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه»[٤]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفه وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»[٥]

أثر الحج في اكتساب الأخلاق:

الحج إلى بيت الله الحرام هو الركن الذي حدد الله تعالى فيه الاستطاعة دون غيره من العبادات، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾[٦]

فهو فرض على كل مسلم بالغ قادر عليه، يتجرد فيه المسلم من كل شيء من حوله وقوته وروابطه وعلاقته الدنيوية إلى التعلق بالله تعالى، يرحل من بيته إلى بلد الله الحرام، يُذكره بذلك الرحلة للأخرة، فيمر بتلك الديار يتذكر حجة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لكي يقتدي به.

وهذا الحج هو الركن الأخير من أركان الإسلام؛ فمن حققه فإنه قد أكمل أركانه الخمسة.

---

(١) تفسير السعدي، (صـ ٩٢)، مرجع سابق

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الخلفاء الراشدين، (١/ ٣٠٣)، حديث (١٦٧) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب العمرة، باب: وجوب العمرة وفضلها، (٣/ ٢)، حديث:(١٧٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب العمرة، باب: قول الله تعالى: {فلا رفث} [البقرة: ١٩٧]، (٣/١١)، حديث:(١٨١٩).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، (٢/ ٩٨٢) حديث رقم، (١٣٤٨).

(٦) آل عمران الآية: (٩٧).

ومن مقاصد الحج:

أولًا: طاعة الله تعالى وامتثال أمره، مقتفيًا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وثانيها: طلب مغفرة الذنوب من الكريم المنان؛ لأنّ تلك الرحلة فيها تقال العثرات وتسكب العبرات.

وثالثها: الترابط بين الناس الغني والفقير كلهم في صعيد واحد، يطلبون رضا الله تعالى ومغفرته.

فالحج فيه من الدروس العظيمة للمسلم منذ خروجه من بيته ورجوعه له؛ كتزكية النفس، وطلب تقواها، وانكسارها لله تعالى، وهو مدرسة متكاملة للأخلاق وميدان مهم في تقويم النفس وتزكيتها وتربيتها على معالي الأخلاق، والبعد عن سيئها وقبيحها ورذيلها وما لا يليق منها.

الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من خلال الحج:

ولكي يؤدي الحج مقاصده الأخلاقية؛ ينبغي على الحاج التحلي بالآتي:

١. الإخلاص لله تعالى، فيكون المقصد الأول مرتبطٌ بالحج إلى بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج، وما تأتي من مصالح أخرى تكون تابة للحج لا هي الأصل.

٢. العلم وتعلم أركان الحج ومقتضياته قبل الرحلة إلى الحج ليكون الحج عن علم وفقه ودراية.

٣. أداء الحقوق ورد المظالم بمختلف أنواعها لأصحابها قبل الرحلة إلى الحج، سواءً أكانت لأهل أو لأقارب أو لغيرهم ممن لهم حقوق أو مظالم.

٤. إخراج تكلفة الحج ومستلزماته المالية من المال الخاص وتحري المال الحلال الطيب والبعد عن المال الحرام أو المشبوه.

٥. تحقيق التهيؤ الإيماني والروحي للحج؛ وذلك بالتوبة والإنابة الصادقة، والتزود بتقوى الله عز وجل.

٦. الحج وفق المنهج النبوي الصحيح متابعةً واقتداءً، وفق قوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني مناسككم»[(١)].

٧. التحلي بما يستلزمه الحج من سلوكيات مع جموع الحجيج؛ من صبر وصدر رحب وحلم وتغاضي وعفو وسماحة وإيثار وكف أذى.

٨. استحضار معاني الحج وقيمه العظيمة؛ من بساطة وتواضع ومساواة وعدالة وتعاون وأخوة وترابط بين المسلمين.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده برقم ٤٠٩٠، ٧/ ١٦٨. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم ١٣٨٤٠، ص ١٣٨٤٠.

٩. التأني في أداء مناسك الحج والصبر على مشقتها، وترك العجلة التي قد تُفسدُ بعض المناسك.

١٠. شكر النعمة والتوفيق في تأدية فريضة الحج، وأن يكون الحال بعد التمام بين الخوف والرجاء في قبول الفريضة.

والأخلاق التي تُكتسب بالحج كثيرة جدًا، لعل من أبرزها ما يأتي:

١. الصبر وتحمّل المشاق والمصاعب.

٢. الحلم والأناة.

٣. الرحمة والشفقة والمواساة.

٤. الدربة على الدقة والنظام والانضباط

٥. غرس مبدأ المساواة مع الآخرين في النفس.

٦. التخلص من الكبر والغرور.

٧. تنمية الوازع الديني والضمير النفسي.

٨. البساطة والتواضع وحُسن التعامل والتعاون مع الآخرين.

٩. الدُربة على إنفاق المال والبذل والعطاء.

١٠. الأخوة والمحبة والإيثار.

١١. تحقيق الألفة مع عموم المسلمين.

الخاتمة

أبرز النتائج:

١. مفهوم العبادة في الإسلام مرتبطٌ بالأخلاق، والأخلاق في الإسلام مرتبطة بالعبادات، حيث إن العبادات منتجة للأخلاق ومحققة لها.

٢. شمولية الأخلاق في الإسلام مرتبط بشمولية الإسلام، أي جزءٌ من كل.

٣. جاء الإسلام حاثًا أتباعه على التحلي والاتصاف بمكارم الأخلاق، والبعد عن الرذيلة؛ وفي سبيل ذلك جعل العبادات من طرق اكتساب الأخلاق.

٤. تحقيق العبادات الشرعية جاء منسجمًا مع كيفية تكوين الأخلاق في الطبيعة الإنسانية من خلال التدريب لنيلها؛ وذلك باتخاذ طرائق متعددة في العبادة تدفع السائر عليها إلى ألفة الفضائل.

٥. عندما يألف الإنسان العبادة تصبح له سجية وعادة، وفي المقابل تكون تلك العبادة داعية إلى تقويمه واستمراره على القيم وحصول الطاعة.

٦. علاقة العبادات بالقيم الخُلقية تتجلى بالامتثال، حيث يتم ذلك على مرحلتين، الأولى: الإتيان بالعبادات، والثانية: امتثالها كالسجية.

٧. اكتساب الأخلاق من خلال العبادات يقتضي الإخلاص فيها وحُسن تأديتها وفق شروطها.

٨. العبادات تقوي في النفس مكارم الأخلاق، فعند استقراء أدلة الكتاب والسنة نجد أن العبادة الحقة لابد أن يكون لها أثر في نفس صاحبها وأخلاقه وسلوكه.

٩. أداء الصلاة بشروطها وأركانها والمداومة عليها في أوقاتها وجماعاتها وإخلاصها، ينعكس قطعًا على مؤديها في مجمل أخلاقه وسلوكه وحياته، إذ هي وسيلة عظمى لاكتساب الأخلاق والفضائل بمجملها.

١٠. إن المعاني التي تدور عليها الزكاة تبين علاقتها الوثيقة باكتساب الأخلاق وتهذيبها؛ فهي تطهيرٌ للنفس من الرذائل، والقبائح وغرس للفضائل والمحامد.

١١. شرع الله الصيام؛ مِنْ أجل تزكية النفس وتهذيبها، واكتساب مكارم الأخلاق وامتثالها عمليًا وسلوكيا.

١٢. الحج مدرسة متكاملة للأخلاق وميدان مهم في تقويم النفس وتزكيتها وتربيتها على معالي الأخلاق، والبعد عن سيئها وقبيحها ورذيلها وما لا يليق منها.

ثانيا أبرز التوصيات:

١. يوصي الباحث الباحثين من أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا في التخصصات الشرعية، توجيه اهتمامهم البحثي باستخلاص الأخلاق من بقية العبادات المشروعة سواءً المرتبطة بالشعائر أم المرتبطة بالمشاعر.

٢. يوصي الباحث بتوجيه المربين والخطباء والوعاظ والدعاة إلى الله ﷻ بتفعيل هذه الطرق عبر التربية خطب الجمعة والدروس والمواعظ وسائر الأنشطة الدعوية.

٣. يوصي الباحث المربين والخطباء والوعاظ والدعاة إلى الله ﷻ ربط العبادات بالأخلاق وبيان ما يحقق الأخلاق من خلال العبادات.

أخيرًا: إن كان ما كتبته صوابًا فمن الله تعالى، وإن كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان قال العماد الأصفهاني-: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"(١).

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ (١/ ٢٨٨).

قائمة المصادر المراجع

* القرآن الكريم.

الكتب والمراجع العامة:

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية- د. فريد الأنصاري- منشورات الفرقان- الطبعة الأولي الدار البيضاء- ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢. إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) - دار المعرفة - بيروت..

٣. الأخلاق الإسلامية وأسسها - عبد الرحمن حبنكة الميداني - دار القلم - ٢٠٠٦م -

٤. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية - د/ عبد الحميد الصيد الزناتي - الدار العربية للكتاب - الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٥. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

٦. الإعداد الروحي والخلقي للمعلم والمعلمة- محمد جميل بن علي الخياط-جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة الثانية - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ) - قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٨. البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) -- تحقيق: علي شيري - دار إحياء التراث العربي - الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

٩. تسهيل النظر وتعجيل الظفر، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي - دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٨١م.

١٠. التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) - تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية بيروت -لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٠م.

١٢. تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - تحقيق: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) - حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي - راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - دار

الكلم الطيب، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٤. تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) – تحقيق: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٥. التوقيف على مهمات التعاريف – زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) – عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة – الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

١٧. الجامع الكبير (سنن الترمذي) –وفي آخره كتاب العلل –المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ) –المحقق: شعيب الأرنؤوط – عبد اللطيف حرز الله –الناشر: الرسالة العالمية – بيروت –سنة النشر: ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ هـ.

١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه – صحيح البخاري– المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر– الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) – تحقيق: هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٢٠. جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمع وتحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط١، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م)

٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت – الطبعة: السابعة والعشرون١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢٢. السنن– المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ) –المتوفى: ٢٧٥ هـ –المحقق: عادل محمد – عماد عباس –الناشر: دار التأصيل – القاهرة –الطبعة: الأولى ١٤٣٦ هـ– ٢٠١٥ م.

٢٣. العبودية – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) – تحقيق – محمد زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة: السابعة المجددة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٤. غذاء الألباب – شرح منظومة الآداب – لمحمد السافريني الحنبلي – دار الكتب العلمية–١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٥. غريب الحديث – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) – تحقيق – د. محمد عبد المعيد خان – مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن – الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م

٢٦. الفروع ومعه تصحيح الفروع – المقدسي محمد بن مفلح – دار الكتب العلمية–٢٠٠٣م –

٢٧. الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري وجماعته، عبد الرحمن الجزيري – مجلة الدارة، ١٩٧٧م.

٢٨. القولين في فتح القدير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٩. لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة– ١٤١٤هـ.

٣٠. المجموع شرح المهذب – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ) – دار عالم الكتاب – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣١. مختصر شعب الإيمان – عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي – دار ابن كثير – دمشق – ١٤٠٥هـ.

٣٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٣٣. المرشد في كتابة الأبحاث– حلمي محمد فوده وعبد الرحمن صالح عبد الله – جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة– الطبعة السادسة/ ١٤١١،١٤١٠هـ– ١٩٩١م.

٣٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي– الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٥. معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) - تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي - دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر - الطبعة: الأولى.

٣٦. معجم الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار المعرفة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٣٧. معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨. المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) - تحقيق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٣٩. مكارم الأخلاق ـ محمد الخرائطي ـ دار الآفاق العربية ـ ط١ـ ١٤١٩هـ.

٤٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) - دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ .

٤١. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ عدد من المختصين بإشراف الشيخ- صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي - دار الوسيلة للنشر والتوزيع- جدة - الطبعة: الرابعة.

٤٢. النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشياني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخص ٢٤٠
مقدمة ٢٤٢
التمهيد ٢٤٧
أولاً: تعريف الأخلاق في اللغة، والاصطلاح. ٢٤٧
ثانيًا: تعريف العبادة في اللغة، والاصطلاح ٢٤٨
المبحث الأول: شمولية الأخلاق ودلالة العبادة عليها ٢٥٠
أولاً: شمولية الأخلاق في الكتاب والسنة وأقوال أهل السنة ٢٥٠
ثانيًا: دلالة العبادة على القيم الخُلقية ٢٥٤
المبحث الثاني: طرق اكتساب الأخلاق بالصلاة ٢٥٨
الآيات التي جاءت في القرآن في الصلاة ٢٥٨
الأحاديث التي جاءت في السنة في الصلاة ٢٦٠
أثر الصلاة في اكتساب الأخلاق ٢٦٠
الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من الصلاة ٢٦٣
المبحث الثالث: طرق اكتساب الأخلاق بالزكاة ٢٦٤
الآيات التي جاءت في القرآن في الزكاة ٢٦٤
الأحاديث التي جاءت في السنة في الزكاة ٢٦٥
أثر الزكاة في اكتساب الأخلاق ٢٦٦
الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من الزكاة. ٢٦٨
المبحث الرابع: طرق اكتساب الأخلاق بالصيام ٢٧٠
الآيات التي جاءت في القرآن في الصيام ٢٧٠

الأحاديث التي جاءت في السنة في الصيام ٢٧١
أثر الصيام في اكتساب الأخلاق: ٢٧٢
الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من خلال الصيام ٢٧٣
المبحث الخامس: اكتساب الأخلاق بالحج ٢٧٥
الآيات التي جاءت في القرآن في الحج ٢٧٥
الأحاديث التي جاءت في السنة في الحج ٢٧٦
أثر الحج في اكتساب الأخلاق ٢٧٦
الطرق العملية لاكتساب الأخلاق من خلال الحج ٢٧٧
الخاتمة ٢٧٩
قائمة المصادر المراجع ٢٨١
فهرس الموضوعات ٢٨٥